المؤسسة العسكرية في المجتمع الاسرائيلي

محمد خالد الأزهري

لم تعد ظاهرة المؤامرات العسكرية، والانقلابات، والاغتيالات، في ما يعرف، حالياً، ببلدان العالم الثالث، تثير كثيراً من الدهشة. ويبدو ان تكرار الظاهرة قد افقدها عنصري البريق والاثارة. ولكن، بينما تتضاءل الدهشة في كل مرة تسقط فيها حكومة، أو رئيس، في دول أفريقيا، أو آسيا، أو اميركا اللاتينية، يتكرر السؤال حول سبب هذه الظاهرة.

والملاحظ، ان العناية بدور العسكريين وحركاتهم في العالم الثالث قد صرف الانظار عن دور المؤسسات العسكرية في دول أوروبا (شرقها وغربها) والوزن الثقيل للبنتاغون في سياسة الولايات المتحدة الاميركية[١]. فاذا نزلنا عند رغبة اصحاب هذا الرأي، وراقبنا مسار ظاهرة التدخل العسكري، بشكل مباشر غالباً في بلدان العالم الثالث، وغير مباشر في بقية الدول، وبدرجات متفاوتة، فاننا لن نعثر على نموذج شبيه بما قامت، وتقوم، به المؤسسة العسكرية في حياة المشروع الصهيوني، وذلك بدءاً بمجتمع «اليشوف» منذ اواخر القرن التاسع عشر، مروراً بقيام اسرائيل العام ١٩٤٨، وانتهاء بالوقت الحاضر[٢]. فالمجتمع الاسرائيلي لا يعكس صورة احد المجتمعات في العالم الثالث؛ وهو بعيد من مثل النظم الاشتراكية، أو نظم الديمقراطيات الغربية؛ وفي الوقت عينه، لا نستطيع الافتاء بان النظام الاجتماعي ـ السياسي الاسرائيلي يمثل نموذجاً للدولة الاتوقراطية؛ كما انه، بالتأكيد، لا ينتمي الى النظم اللاطائفية[٣]؛ وربما كان خليطاً من كل ذلك.

وعلى الرغم من هذا، فان مستوى «تغلغل» المؤسسة العسكرية في المجتمع الاسرائيلي، يقدم نموذجاً متميزاً لدور العسكريين في حياة «الدولة».

يستتبع هذه الملاحظات، ضرورة الوعي بأن محاولة الاقتراب من دور المؤسسة العسكرية في هذا المجتمع، هي محاولة لدراسة نموذج لمؤسسة عسكرية ذات مهام خاصة غير مستبقة. فالجيش الاسرائيلي هو الذي خلق الدولة وليس العكس. والنظام الاقتصادي ـ السياسي غير محدد الهوية تماماً. اما النظام الاجتماعي، فيعبّر عن تجربة فريدة، هي تجربة الاستعمار الاستيطاني الاحتلالي. وفي التحليل النهائي، نجد ان الدولة غير معيّنة الحدود جغرافياً، أو بشرياً. وهكذا، يمكن القول ان الاقتراب من دور هذه المؤسسة لا ينطلق فقط من خلفية فكرية تراعي تجارب المجتمعات النامية، أو المجتمعات المتقدمة، وانما ينبغي الانطلاق، أيضاً، من ان للكيان الصهيوني خصوصيته في هذا المضمار.

نحاول، في هذا البحث، التعريف بدور المؤسسة العسكرية في حياة المجتمع الاسرائيلي، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، من جانب؛ كما نحاول ان نستشرف الآفاق المستقبلية لهذا